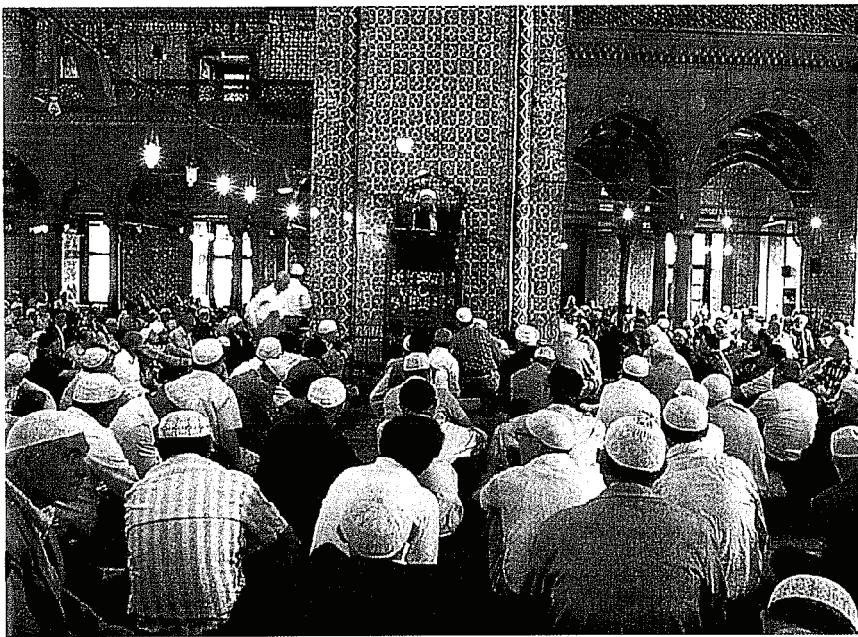




اعلام

# الخطاب الديني الإسلامي في قرن العولمة

أ.د. أحمد عيساوي. أستاذ الدعوة والإعلام والفكر الإسلامي المعاصر، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة باتنة، الجزائر



أو النبوة المراد تبليغها وإيصالها لجمهور المدعين الحقيقيين والمرتقبين مع جملة من المستويات والأطر والدوائر الواقعية في محيط المدعين والمستقبلين لها، إن على المستوى المعرفي والتصروري والعقلي النظري لهم، أو على مستوى الانسجام والتقبل الوجداني لهم، أو على مستوى

الذى نقلته إلينا المصادر التاريخية الإسلامية الأولى.

وقد تدرج هذا الخطاب مع تلك الدوائر والمراحل زمنياً ومكانياً وما كان هذا الخطاب ليحظى بمثل ذلك التوفيق، لو لا توافر جملة من العوامل الضبوطة والمدروسة وكانت تُكلل دائماً بالنجاح والتوفيق، فيه بدقة متناهية، بحيث تنسجم فيه في تحقيق الانتشار الجغرافي - مختلفاً وتوجههاً وتأثيراً وغاية - والديمغرافي، وتوسيع يُؤثر الولايات ووسيلة - الحقيقة والتعليمية الربانية لتعاليمه العالمية، على الوجه المشرق

تعاليمه الأقافية في أقل من قرن.

وقد تدرج هذا الخطاب مع تلك الدوائر والمراحل زمنياً ومكانياً وكيانياً ولمكانياً بعمق ودقة متناهية، بمثيل ذلك التوفيق، لولا توافر جملة من العوامل الضبوطة والمدروسة فيه بدقة متناهية، بحيث تنسجم فيه في تحقيق الانتشار الجغرافي - مختلفاً وتوجههاً وتأثيراً وغاية - والديمغرافي، إلى أن تشكل نهاية في مستوى العالم الشامل، الذي احتضن العالم القديم - وتراثاته العقدية والفلسفية والتصورية - بين

تبليغ الخطاب الديني الإسلامي - قبيل انقطاع الوحي - وفق مستوى البعـد الشـمولـي العـالـي بـيـمـغـرافـيـا وجـفـرـافـيـا وـدـعـوـيـا وـتـصـورـيـا وـتـشـرـيعـيـا في صـورـتـه التـوفـيقـيـة المـقـنـسـةـ، التـي جـسـدـتـهـاـ وـمـتـأـلـتـهـاـ الـأـطـرـ الـمـرـجـعـيـةـ الـمـقـدـسـةـ «ـكـتـابـ وـالـسـلـةـ»ـ، وـالـقـيـ تـوـارـيـتـهـ الـأـمـةـ الـإـسـلـامـيـةـ نـظـرـيـاـ وـعـلـمـيـاـ عنـ الـجـمـعـمـ الـأـمـلـ الـذـيـ كـانـ عـمـادـهـ مـهـارـسـاتـ الرـسـوـلـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ وـتـطـبـيـقـاتـ صـحـابـتـهـ الـكـرـامـ رـضـوانـ اللـهـ تـعـالـىـ عـلـيـهـمـ فـيـ الـجـمـعـمـ الـرـبـانـيـ الـأـخـلـىـ فـيـ الـأـرـضـ، بـعـدـ أـنـ قـطـعـ هـذـاـ خـطـابـ الـرـبـانـيـ الـإـسـلـامـيـ التـمـيـزـ بـجـهـدـ وـثـبـاتـ وـعـقـلـانـيـةـ وـوـاقـعـيـةـ، كـلـ دـوـانـرـ وـمـرـاحـلـ الـإـنـتـشـارـ الـعـشـائـرـيـ، وـالـقـبـليـ، وـحـدـوـهـمـاـ الـمـحـلـيـ، لـيـتـقـلـ إـلـىـ الـجـهـةـ الـتـجـاـوـرـيـ وـحـدـوـهـاـ الـوـطـنـيـ، وـصـوـلـاـ إـلـىـ دـائـرـةـ الـقـومـيـةـ وـأـفـاقـهـ الـوـجـدـوـنـيـ الـضـيـقـيـ، التـيـ كـانـتـ بـالـنـسـبـةـ إـلـيـهـ مـحـطـةـ الـأـنـطـلـاقـ الـحـقـيقـيـةـ وـالـأـوـلـىـ لـتـجـسـيدـ مـعـانـيـ التـعـالـيمـ الـرـبـانـيـةـ الـعـالـيـةـ، الـمـخـرـزةـ فـيـهـ، فـيـ الـوـاقـعـيـنـ الـجـغـرـافـيـ وـالـدـيـمـغـرـافـيـ، إـلـىـ أـنـ تـشـكـلـ نـهـاـيـةـ فـيـ مـسـتـوـاـهـ الـعـالـمـ الشـامـلـ، الـذـيـ اـحـتـضـنـ الـعـالـمـ الـقـدـيـمـ وـتـرـاثـتـهـ الـعـقـدـيـةـ وـالـفـلـسـفـيـةـ وـالـتـصـورـيـةـ، بـيـنـ

التعامل النفسي والشعوري الداخلي لهم، أو على مستوى الصدود والنكران الوجداني الداخلي لهم، أو على مستوى التعويق والتحدي الخارجي والواقعي لهم.

كما ينسجم فيه أيضاً صلاحية تعدد وتنوع مستوى خطاباته الجزئية لتحتفي سائر الفوارق الفردية التقى والتقبل والتاثير بين مختلف الأفراد وتحاصرها بتطورها في شكل الإيماني الجديد ضمن نطاق الفرد، وتجمع أكبر قدر من التصورات الجماعية وتهيكلها، ولتباور الخيال الجماعي جمهور المدعين وتشكيه، وتحقق وتصنع بهم أرضية الوحدة التصورية والوجدانية الجماعية، والتي ضمن بها تذكرة الفرز والمدروز إلى مستوى العالمية الحضارية، وظل متبوأً سديها طيلة القرن الهجرية الخمسة الأولى.

كما ينسجم فيه طبيعة وحجم إشعاع التأثير المنبعث من تعاليه باتجاه جمهور المدعين، فيخبطون إليه أو ينفرؤون منه بغير أرضية التقى التي شكلوا عليها نفسياً وروحياً ووجدانياً وعقلياً.

و ضمن هذه الدوائر الديمغرافية تنقل الخطاب الديني الإسلامي النظري والتقطيفي وإنقاً، ومتكتباً شيئاً فشيئاً من بقايا وحطام الأديان الأخرى الأرضية والسماوية منها، حتى بلغ مشارقة العالم القيم ومغاربه، منسجماً في الوقت نفسه مع سائر الطروحات المعارضية له، نظراً لتضمنه أساس التعامل مع الآخر، وتضمنه قواعد تقىه والتعايش معه، والاعتراف بوجوده قوياً ومتماساً ضمه، مستندًا في هذا كله إلى تعاليه الربانية الدقيقة، والتي ورد في شأنها الكثير من قواعد التعامل مع الآخر المسلم والمغاري، منها مثلاً قوله تعالى: (لَا إِكْرَاهُ فِي الدِّينِ) البقرة: ٢٥٦، وقوله تعالى: (لَمْ يُنْكِرْ وَلِيْ دِينِ) الكافرون: ٦.

بل يذهب . وما زال يذهب لخلوبيته الزمانية والمكانية والكونية - إلى بعد من ذلك بكثير عندما

## الملح اليوم إعادة قراءة مخامين الخطاب الديني الإسلامي وإعادة قراءة صيروته التاريخية والواقعية

وتعطيلية خاصة به، ومحتلة عن غيره من المستويات، يتضمنها الخطاب ضمن مكوناته، كما يدركها ببداوة القائمون على توصيله للمدعين.

### الخطاب الإسلامي والعالمية الإسلامية

ظل هذا الخطاب الديني سائداً على ساحة الفكر الإسلامي منذ أن تحقق العالمية له بعيد القرن الأول الهجري، وعلى ساحة الفكر العالمي أيضاً، ولكن ببعيد القرن الخامس الهجري بدأت الأرض تمور من تحته، بسبب تحليه عن ممارسة بعض مهامه التوعوية والتثابرية والتوجيهية في الواقعين الوجداني والحياتي للمجتمعات والأفراد، فضلاً عن صياغة وتشكيل الوجدان الفردي والجماعي لمركزه وأطراقه، ومن هنا مار وباء وقع في مستوى الضبابية واللاؤعي وقد توازنه طيلة قرون الصعف والخلف الحضاري المتأخر، فقد بهذا الوضع مكانته العالمية، مفسحاً الدور للأطارات الوضعية الأخرى لتقدم نفسها بديلاً عالياً للإنسانية الثانية.

وي فعل مكونات التجديد الكامنة في منظمته النظرية والعملية «يعيث الله على رأس كل منة ستة لهذه الأمة من يجدد لها أمر دينها». تجددت محاولات انباته ويعثه في نسخته العالمية التقليدية مع بعض أطارات الحركات النهضوية الإسلامية الحديثة والمعاصرة، وهو ما دعت إليه الحركة «الوهابية» في شبه الجزيرة العربية عين في القرن الثاني عشر، والثالث عشر الهجريين، الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، والحركة «السنوسية» في أواسط الصحراء الإفريقية، وجسدها بقوة أطارات الحركة «الأفغانية» بدعوتها لفكرة

أرسلناك إلا كافة الناس بشيراً وبشريعة وجود الآخر، وأس شرعية إننا أرسلناك شاهداً وبمشيراً وبذيراً. وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً نيراً» الأحزاب: ٤٦، ٤٥،

ولقوله صلى الله عليه وسلم: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من قبلـي... أعطيت الشفاعة ولم يعطها أحد من قبلـي، وجعلت لي الأرض مسجداً وظهوراً، ونصرت بالرعب مسيرة شهرين، وأرسل الأنبياء لأقوامهم وأرسلت للناس جميعاً» حديث صحيح رواه الشیخان.

وقد تدرج الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا الخطاب مع صحباته الكرام رحوان الله تعالى عليهم ضمن إطار المجتمع المسلم من المنطلق الأبدجي لهذا الخطاب حتى أعاده بعده الشمولي العالمي، وفق المكونات والعادلة التالية:

نص كريم (قرآن، سنة) + زمان دعوي + جهد (بني، دعاة) + كيان اجتماعي + مقننات توصيل دعوية واقعية للنص + فهم حقيقي للنص + تطبيق تقريري لمراد النص = مكونات الخطاب الديني.

وتحكم أطراف هذه المعايدة ضوابط صارمة، تضمن صبغ النجاح والسداد لمكونات هذا الخطاب كي ينتقل من مستوى الوطنية والقومية إلى مستوى العالمية الشمولية.

ومن أهم هذه الضوابط التتاغم القائم بين مستوى الخطاب وقوة الطاقة التفعيلية والتثابرية فيه، بحيث تضمن له التوزع السوسي والكافي والمؤثر في العقول والنفسيات أولًا، وعلى مستوى المساحة الواقعية الجغرافية والديمغرافية المنشودة ثانياً.

كما تحتاج كل دائرة انتشاراً إلى مستوى وحجم وقوة وطاقة تأثيرية

يتسمق من أس فضيلة الاعتراف بشريعة وجود الآخر، وأس شرعية إنما أرسلناك شاهداً وبمشيراً وبذيراً. وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً نيراً» الأحزاب: ٤٦، ٤٥،

ولقوله صلى الله عليه وسلم: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من قبلـي... أعطيت الشفاعة ولم يعطها أحد من قبلـي، وجعلت لي الأرض مسجداً وظهوراً، ونصرت بالرعب مسيرة شهرين، وأرسل الأنبياء لأقوامهم وأرسلت للناس جميعاً» حديث صحيح رواه الشیخان.

وقد تدرج الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا الخطاب مع صحباته الكرام رحوان الله تعالى عليهم ضمن إطار المجتمع المسلم من المنطلق الأبدجي لهذا الخطاب حتى أعاده بعده الشمولي العالمي، وفق المكونات والعادلة التالية:

نص كريم (قرآن، سنة) + زمان دعوي + جهد (بني، دعاة) + كيان اجتماعي + مقننات توصيل دعوية واقعية للنص + فهم حقيقي للنص + تطبيق تقريري لمراد النص = مكونات الخطاب الديني.

وتحكم أطراف هذه المعايدة ضوابط صارمة، تضمن صبغ النجاح والسداد لمكونات هذا الخطاب كي ينتقل من مستوى الوطنية وال القومية إلى مستوى العالمية الشمولية.

ومن أهم هذه الضوابط التتاغم القائم بين مستوى الخطاب وقوة الطاقة التفعيلية والتثابرية فيه، بحيث تضمن له التوزع السوسي والكافي والمؤثر في العقول والنفسيات أولًا، وعلى مستوى المساحة الواقعية الجغرافية والديمغرافية المنشودة ثانياً.

كما تحتاج كل دائرة انتشاراً إلى مستوى وحجم وقوة وطاقة تأثيرية

الجامعة الإسلامية والوحدة الإسلامية في ظل الخلافة العثمانية، بحكم وجودها الشاسع على الساحة العالمية، وبحكم اشتغالها وسيطرتها على مساحات جغرافية وديمغرافية من المؤمنين بهذا الخطاب الديني الإسلامي العالمي.

ولكنها انبرت لحياته وفق تصوراتها الكلية والجزئية الخاصة بها، ولتقديره كديل نهضوي وتعلقي للعالم الإسلامي المخلف، دون التنبه إلى تقليدية فتايات تبليله وإ يصلاته إلى التي سببته بها مجدداً، ظناً منهم وعملاً بالقول الماثر: «لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما يصلح به أولها»، دون التنبه إلى اندفاعهم في استهلام العالمية الماضوية بحذافيرها، ليعدوا تقديمها مجدداً كحلول نهضوية رائدة لنا وللآخر. الأمر الذي ولد قراءة نهضوية أخرى أخذت بعدها المطلي والإقلامي لدى بعض الحركات النهضوية الأخرى كحركة «جمعية العلماء المسلمين الجزائريين» في الجزائر في القرن الرابع عشر الهجري العشرين ميلادية.

ولذلك ظل مثل هذا الخطاب حبيس العالمية الإسلامية فقط، لأن الحركات النهضورية الإسلامية فهمت مسامينه بالقراءة الماضوية الغربية عن المتغيرات والتطورات الطلبية والإقلامية والعالية، بالإضافة إلى خصوصية قراءتها وتصورها لهذا الخطاب، الذي أرسّل حسب قراراتهم، مثل هذه النزوعية من المعتقدين المسلمين، مع إغفالها عمداً أو سهواً، وتجاوزها لمسامينه التأثيرية والدعوية صوب الآخر، وعدم قدرتها - الحقيقة - على تخطي عقبات التوجّه والتأثير في الآخر الوثني والإلحادي والديني.

ولذا فقد بات من الملح اليوم إعادة قراءة مسامين الخطاب الإسلامي والاستلطاف والإعجاب... القائمة بين المعاصر والماضي، ولا سيما فيما له علاقة بالتجربة التاريخية أيضاً، وإعادة بعث نوعية جديدة

## ظل الخطاب الديني سائداً على ساحة الفكر الإسلامي منذ أن تحقق العالمية له بعيد القرن الأول المجري

جهة، ولنظرتها الحلاجية - نسبة للhalaj - له من جهة ثانية، كما ستتعامل معه بشيء من الحدة والصلابة المنهجية من جهة أخرى، ولكنها سرعان ما تتخالب أمامه وتعرف له، وتخالع عليه حلة القساوة التي كانت تذكرها عليه، وتكتشف تلاشياً مبادئها الأربعية (التفكيك، التشكيك، التحلل، التحرر) أمام قداسة مصدره، وقداسة صحة وصواب نتائجه وتبنته.

وهذا أكبر مكسب - حسب قرائي المترافق - لهذا الخطاب الديني الإسلامي المحلي والعالمي معاً، على صعيد التصورات النظرية والدينية لدى الآخر المتعدد في القرن الم قبل.

ولن تأتى بهذا الخطاب الديني الانفتاح على الآخر، وفتح منظمه الدينية لقراءة وفهم الآخر له، قراءة علمية ومنهجية - وليس كقراءة المستشرقين والمستغربين - مع شيء من التدخل القوي منه في توضيح ما غمض للآخر - بحكم قضيائياً كثيرة لغوية وفكريّة وتكوينية وتاريخية - من مسامين خطابه، يكن قد ضمن مفتاح الدخول إلى منظومة الآخر، الذي لن يجد شيئاً يقدمه لنفسه وللإنسانية أكثر مما قدمه لها عبر تكراره واجتراره لطابيق الأغريقية واللاتينية المزينة ببودرة وأنباء، ومساحيق الحضارة الغربية المعاصرة.

و ساعتها ستتأكد أصالة وصلاحية الخطاب الديني الإسلامي محلياً وإقليمياً وعالمياً، كما ستتأكد أيضاً أصالة وصلاحية نظرته للآخر، وصلاحية الأمر الإلهي وهو يطلب فتح الحوار بقوله الكريم: (ولقد وصّلنا لهم القبول لعلهم يتذكرون) القصص: ٥١، والتي ستكون طريقه نحو العالمية الكوكبية.

الإسلامية التي ترجمت المسامين العالمية للخطاب الإسلامي.

٧ - تقييم قراءة واحدة وحقيقة عن الآخر المتعدد، بهدف ضمان صيغة وبنية خطاب ملائمة لوسطه ومناخه.

٨ - محاولة تجسيم الشروخات والرواسب الموروثة عن الفهم الماضي لمسامين وبنية الخطاب الديني للأخر، وذلك بخلق حال من التناغم والتلاقي والتسامع مع الآخر، وتحسيسه بالثقة المطلقة بالمراد القواصلي معه.

٩ - وضع الآخر في مجال التواصل، وإحداث القطيعة مع قناعات التلاقي الساكنة في موروثه الثقافي تارياً.

١٠ - الإحساس بالمسؤولية الملقاة على الآخر جراء الزهد في تحمل المسؤوليات المضاربة، والاستكفاء عن قيم البذل والعطاء المفروضة في الخطاب الديني نحو الذات والأخر معًا على حد سواء.

الانطلاق نحو العالمية الكوكبية

ولجرد توافر مسامين حسن قراءة مكونات الخطاب الديني الإسلامي، يمكن لهذا الخطاب أن ينطلق من العالمية الإسلامية في شكلها الماضي القديم والماضي المعاصر، نحو العالمية الكوكبية المستقبلية بنوعية خطاب جديد،

ومؤسس وفق معايير تكوين بنية الخطاب العالمي فيه، دون أن يتغير في المعايير أي طرف منها، وكل ما في الأمر طروع الفهم الحادثي لها.

وستتضمن القراءة الحادثية لمسامين الخطاب الديني الإسلامي نوعاً من الطقوسية والبخورية المتينة، لاختلافهما - في المكونات - في طريقة التعامل مع القضيائين نحو العالمية الكوكبية.

من الخطاب العالمي، الكامن أساساً في بنية الخطاب الديني الإسلامي العالمي، الذي يستطيع تخطي حدود العالمية الإسلامية، إلى العالمية الكوكبية باتجاه الآخرين من غير المسلمين.

الخطاب الإسلامي والعالمية الكوكبية

وحتى يستطيع الخطاب الديني الإسلامي المعاصر تخطي عقبات القراءة التقليدية والماضوية لمسامينه، يجب أن يتحصن بالأسس والقواعد المنهجية التالية:

١ - الفهم العميق والهضم الدقيق لمسامين ومكونات الخطاب الديني الإسلامي في بعديه المقدس والاجتاهادي.

٢ - الفهم العميق والدقيق

لمسامين ومكونات الخطاب الديني الإسلامي في إطار سيادة التاريخي التجريبي.

٤ - فقه العطيات الواقعية المحلية والإسلامية، والعالية منها بشكل أخص وأدق، والتعييز بين ما يجب أن يوجه للمدعين المحليين وبين ما يجب أن يوجه للآخر المتعدد عالمياً.

٥ - عدم إهمال التراكمات الإنسانية الحضارية الأفقية والعمودية، في جانبها التصري: «العلمي، المعرفي، الفاسقي، الثقافي، الفكري، والتنظيري»، والتطبيقي: «التكنولوجي، الاتصالي، القضائي...».

٦ - تجاوز مرحلة وحال الحنين والاستلطاف والإعجاب... القائمة بين المعاصر والماضي، ولا سيما فيما له علاقة بالتجربة التاريخية